

القلمة

مَسْرُحَةٌ بِقَلَمٍ نَدِيمٍ خَشْفَةٌ

تقول الاسطورة :

« ان قلعة حلب بناها مهندسان شقيقان ، حرم الملك عليهما اللقاء قبل انجازها . فافترقا شابين ، ولما التقيا ، كان الشيب قد تلج شعرهما ، .. وقلبهما أيضا » .

الإشخاص :

المهندس راعب (الشبح)

المهندس صافي

الملك آشور

الوزير

الدليل

روبير . جونز . مسز جونز (زوجته) سباح

العجوز . الزوج (زوجها)

مساعدون . فعول . حرس . رسول . خطيب .

المشهد الاول

« قبو ضيق ، سقفه من اليمين واطيء مقوس ، يتسع عند اليسار ويرتفع سقفه ارتفاعا لا يسمح برؤيته . في الصدر درج حجري ينتهي بباب من الخشب ، هو المدخل الوحيد الى القبو . الجو معتم وتفوح منه رائحة العفن . الارض متربة والجدران رسمت عليها الرطوبة بقفا لا شكل لها . الشمس تدخل من كوة في السقف عليها شبك حديدي . ظل الشبك يسقط على الجدار . تستخدم هذه الكوة للتعبير الضوئي .. تسمع ضجة حديث وضحكات ، اصوات مفاتيح ، ثم يفرج الباب » .
الدليل - تفضلوا .. تفضلوا ، ليتفضل من يحب الدخول .
انتبهوا .. الدرج على اليمين . استندي الى الحائط يا مسز جونز ،
الدرج ماله درابزون .

مسز جونز - (وصلت الى اخر الدرج) اوه ، قدمي تفوس واظن الكعب انكسر .

جونز - قلت لك غيري الحذاء .. لا افهم كيف تزورين الاثار بالكعب العالي !!

مسز جونز - ما كان عندي وقت .. لم تنتظروا حتى افتح الحقيبة ، اوه .. اسندني شوي (تعالج الكعب) .

جونز - استندي الى الحائط .

مسز جونز - الازراه وسخا !! سيفسد العفن ملابسني .

جونز - طيب .. خلصيني .

العجوز - اين انت يا عزيزي ؟

الزوج - انا هنا .. الا تريني ؟!

العجوز - وهل تحسبني قطة حتى ارى في هذه العتمة ؟!

الزوج - يبدو انك نسيت النظارات مرة ثانية !!

العجوز - الا تراها على عيوني ؟

الزوج - (يقترب ، يقطي فمه ويضحك) هذه نظارات الشمس .

العجوز - يوه ! ! ولكن لا تضحك بهذه الطريقة ، كلما ضحكت ..

بهذه الطريقة .. تذكرت ..

روبير - (يتجول في انحاء المكان ، يقرب وجهه من الجدران كأنه يشمها) اقسام انها تعود الى الاف الاعوام . شيء رائع ان تجد نفسك في مكان بني من خمسة آلاف سنة . هذه هي المتعة من مشاهدة الاثار .
الدليل - (يصفق) ايها السيدات والسادة ! هيثوا اذهانكم واحذر الذين يعانون من ضعف القلب ، الاحسن ان ينتظروا خروجنا .
لست مسؤولا عما يحدث لمن تؤثر فيهم المفاجآت .

اصوات - اوه ، رائع . ماذا قال ؟ اسمعوا .

مسز جونز - فهمنا .. فهمنا ، انت موظف فسي دائرة السياحة ولست تابعا لمؤسسة دفن الموتى .. (ضحك) .

الدليل - قصدي .. يعني ، ما كان قصدي اخوكم ، ولكن الاوامر تقضي .. في احد المواسم لم نكد نلفظ كلمة « حبس الدم » حتى سقطت اربعة موتى .

مسز جونز - ولكنك ترى .. لفظتها ولم يسقط احد منا .

روبير - اذن هذا حبس .. حبس ، حبس ايش ؟

الدليل - (يستظهر بلهجة رتيبة) نحن الان في السجن القديم ، ولا يعرف بالضبط تاريخ بنائه ، ولكن يعتقد انه اقدم قبو فسي القلعة بسبب موقعه العميق . واستخدم منذ عهد الآشوريين سجنا للاسرى . وكانوا يتركون فيه السجناء حتى يموتوا بلا طعام ولا شراب . وقد بنى بعيدا عن الجناح الملكي لئلا تصل الى الملك اصوات الموتى والمحتضرين .
العجوز - اوه .. يا للقسوة !!

روبير - حسه رقيق حقا .

الدليل - .. وكان الذين حكم عليهم بالاعدام يرمون من هذه الكوة الى الارض . فان كان حظهم سيئا ولم تكسر اعناقهم ، ظلوا اياما يصرخون وينبشون الارض والجدران وهم يعانون من آلام فظيعة ..

العجوز - اوه .. الجو خانق هنا .. ساعدني على الخروج يا عزيزي .

الزوج - لا اراه خانقا على الاطلاق .. ثم ترين ان الهواء يدخل من هذه الكوة .

العجوز - لا تمد الى ذكر الكوة .. يكاد يفمى علي .

الزوج - انتظري شوي لنفهم ما يفعل الاسرى .

العجوز - اوه .. ساخرج وحدي .. دعني ساخرج وحدي .

الزوج - (يساعدها) طيب اطلعي .

روبير - اليس عارا ان نطلع الى القمر ونساؤنا يعجزن عن طلوع سبع درجات ؟ !

العجوز - (في اعلى الدرج) هل تظن الذين طلوعوا القمر مثلك ؟ اشتتهي اشوف القمر وانت تطلع له .. سينكسف من طلعك .. نعم سينكسف .. اوه .. ساعدني يا عزيزي (تطلق الباب بعنف) .

روبير - المرأة لا تفقد سلاطة لسانها حتى ولو كانت في النزاع الاخير . (تحدى فيه مسز جونز فيهرب من نظراتها) .

الدليل - (منتصرا) ألم أقل لكم ؟ القلوب الضعيفة لا يمكنها التحمل .. صحيح ان القوة البشرية تتراجع . انها مجرد لفظ كلمة « حبس الدم » كاد يفمى عليها . فما بالك بالذين حكم عليهم ان يقضوا عمرهم كله بين هذه الجدران الرهيبة !!

روبير - ولكنك قلت انهم يموتون بسبب السقوط من السقف .

الدليل - بعضهم يموت ، وبعضهم يقاسون من الآلام ولكن لا يموتون ..

روبير - كيف ؟ هذا ..

الدليل - ما تركنتي أكمل كلامي .

روبير - مستحيل ان يعيشوا بعد السقوط .

الدليل - قلت لك أنهم ..

جونز - أوه ، أتركه يكمل كلامه (صمت) .

الدليل - تفضلوا .. تفضلوا ، لينتظلم من يحب الدخول ويتحطم عموده الفقري أو ..

روبير - الى اخره ، الى اخره ..

الدليل - لا بد ان يجد واحدا ممن سبقوه .

روبير - طبيعي .. طبيعي .

الدليل - طيب .. فيتحامل على نفسه ، ويجر رجليه المكسورين ، او يسند عموده المتحطم (بصوت أجش) ويفتح فمه وينهش بأسنانه لحم الميت الذي سبقه (صمت متوجس) .

روبير - ولكن .. ليس دائما .

جونز - مستحيل .. أقول لك مستحيل .

الدليل - كيف مستحيل ؟ هذا ثابت تاريخيا ولا يمكن الجدل فيه .

مسز جونز - صحيح ، ممكن .

جونز - كيف ممكن . هل تصدقين كل ما يقال ؟

مسز جونز - ولماذا الكذب ؟ لا شيء بدعوه لان يكذب .

جونز - انا اعلم انك لم تصدقيه ولكنك تحبين معارضي علي طول الخط .

الدليل - اكتشفنا هنا وثيقة تؤكد ما اقله لكم . حفرا احد المساجين على الجدار قبل ان يفارق الحياة . وهذه الترجمة الحرفية لها (يقرأ من النشرة) .

.. انا « راغب بن جامش » مهندس الملك آشور ، اتهمت بجريمة لم ارتكبتها وسجنت حتى مت مظلوما .. واشهد فوافل السجناء من جيلنا ومن الاجيال القادمة ، سواء كانوا قتلوا سفاحين او شهداء بريئين - ان قلبي لم يطاوع يدي ، وقد اردت شيئا ولكن ارادة اقوى نفذت ما تريد .

روبير - آه .. كلام عميق .

جونز - كلام غامض لم افهم منه شيئا .

مسز جونز - انصت يا عزيزي حتى تفهم ما يقول .

الدليل - هذا ما كتبه مهندس الملك آشور بعد ان سجن هنا ، ولكنه ظل حيا اربعة شهور .

روبير - هل قال هذا ؟

الدليل - لو نظرنا الى تاريخ الوثيقة وفارناه بالتاريخ الذي القي فيه من السقف لعرفنا تماما انه عاش على لحوم المساجين اربعة شهور .

مسز جونز - أوه ، السفاح .. ماذا يرجو من الحياة ؟

(شيخ من الناحية اليمنى يتقدم .. ملايسه تاريخية) .

الشيخ - حقا .. هذا ما كنت أسائل به نفسي : ماذا ارجو من الحياة ؟

اصوات : دعونا نهرب .. انتظروا ساقطله ان تقدم .. لا تخافوا انه لا يؤدي .

الدليل - هل .. هل تسخر مني ؟ اختبات هنا لتسخر من مديرية الآثار ؟ هل تعرف عقوبة هذا العمل ؟

الشيخ - اعرف عقوبته .. انا اعرف عقوبة كل الاعمال ، واعرف العقوبة بلا عمل .

مسز جونز - هل انت موظف هنا ؟

الشيخ - (يتخني) عفوا يا سيدي ، لم اقدم لك نفسي . لست مسجلا في ديوان الموظفين ، ولكن هنا مكان اقامتي .

مسز جونز - تسكن هنا !؟

الشيخ - اسكن ولكن غصبا عني .. رميت من هذه الكوة من خمسة آلاف سنة ولم اتمكن من الخروج حتى الان .

جونز - اذن انت واحد من الاسرى .

الشيخ - الاسرى ؟ هذه هي الكلمة المناسبة .. كنت اسيرا .

اسرنتي فكرة ولم تطلق سراحي .

روبير - أوه .. كلام عميق .

جونز - لا افهم منه شيئا .

مسز جونز - انصت يا عزيزي حتى تفهم ما يقول . (روبرير يعد آلة التصوير)

الدليل - التصوير داخل المتاحف ممنوع يا مسيو ..

روبير - لا اصور الآثار .. اريد ان اصور هذا .

الدليل - ولكن من الآثار .

روبير - لا .. غلطان (يغير مكانه ليختار زاوية مناسبة) .

الدليل - لا يمكن اسمح لك . هذا اعتداء واضح على قوانين السياحة .

روبير - لتذهب قوانين السياحة الى الجحيم .

الدليل - (كمن تلقى صفعه) أوه !!

جونز - قال لك : ما هو من الآثار .

الدليل - هل تريد ان تعلمني وظيفتي !!

جونز - اساله لتتأكد انه ليس من الآثار .

الدليل - (يمسح الشارة المعدنية على صدره . يقترب من الشيخ خائفا) عفوا يا سيدي ! تسمح نقول لي من انت ؟

الشيخ - هذا ما كنت اوضحه للسيدة منذ قليل .

مسز جونز - قال انه ساكن هنا من خمسة آلاف سنة .

الدليل - رأيتم هو من الآثار .. والتصوير ممنوع .

روبير - (للشيخ) هل تعني يا سيدي انك تابع لادارة السياحة ؟

الشيخ - تابع .. تابع .. تابع (يتلوقها بلهجات مختلفة) نعم تابع . مرة واحدة تبعت الاخرين فاصبحت تابعا الى الابد .

الدليل - اغلقوا الات التصوير اذن ولتتابع الجولة .

مسز جونز - انتظر نفهم منه الحقيقة .

الدليل - ماذا تريد غير ذلك ؟ قلت لك حقيقته وهو مهندس الملك آشور (يهمس) وقد ارتكب جناية . هل فهمت لماذا اريد الخروج ؟

مسز جونز - اذن انت مهندس .

الشيخ - كما قال .. مهندس الملك آشور .

مسز جونز - هندست هذه القلعة ؟

الشيخ - هندست قلعا كثيرة ..

مسز جونز - أوه ، اشهد انها رائعة ، رائعة جدا .

الشيخ - يا للاسف .. هذا ما اعتقدته انا ايضا .

مسز جونز - لا تؤاخذني اذا سالتك : هل انت متزوج ؟

الشيخ - لا .. لم اتزوج .

مسز جونز - افهمك .. انصرت الى مشاربيك ولم تفكر بالزواج .

الدليل - (على انفراد لجونز) قلت لك انه مجرم .. ولست مسؤولا عما يحدث لزوجتك .

جونز - (يشدها من ذراعها) هيا نخرج .. تاخرنا كثيرا .

مسز جونز - انتظر يا عزيزي .. قال انه لم يتزوج .

جونز - أوه .. لا يهمني ما يكون .

مسز جونز - تصور انه لم يتزوج وهو مهندس الملك .. خيالي ، خيالي ! !

جونز - امنعك من التحدث مع أي مهندس ، خاصة اذا كان اعزب من اربعة ، خمسة آلاف سنة .

روبير - (يعد آلة التصوير ثانية) مسز جونز ، ابتعدي شوي .

الدليل - قلت لك التصوير ممنوع . ما هذا النهار الاسود يا ناس ! !

روبير - لا تريد ان نتعرف اليه لئلا يفضحك .. مفهوم ، مفهوم .
الدليل - ما هو المفهوم ؟ قلت لك (من بين اسنانه) انه سفاح
ولست مسؤولا عما يحدث لكم .. مفهوم ؟؟
روبير - لا يبدو عليه أي شيء مما تقول .
الدليل - ولكن النشرة .. هل تكذب النشرة . اتعرف عقوبة من
يكذب نشرة مديرية الانار ؟؟
الشيخ - اعزني هذه النشرة (يقرأ) هيه .. غريب !! هكذا وصلت
اليكم حكايتي اذن . انا هنا سفاح واكل لحوم الموتى (للدليل) هل
تري على اصابعي اثار دم يا سيدي ؟
الدليل - لا ارى .. لم اعد ارى .
جونز - طبيعي ان يجف بعد مرور خمسة آلاف سنة .
الشيخ - دم الجريمة لا يجف ، الجريمة لا يجف دمه .
روبير - صحيح .. هذا حق .
الدليل - ولكنها ماتت وجف دمه ، وهي الان من الانار . انت
نفسك تابع لمديرية الانار .
مسز جونز - لا تجادله .. لن تعرف الامور احسن منه . لقد
عاصرها ولا يمكن ان ينسى حياته .
روبير - اسمح لي أسألك سؤالاً محدداً : هل انت قاتل ؟
الشيخ - أنا ؟ (يفكر) ربما كنت بريئاً-كطفل . وربما كنت قاتلاً
للايين البشر .
جونز - أوه ، كلام متناقض .
مسز جونز - دعه يا عزيزي يكمل كلامه . قال لك ربما ..
الشيخ - لقد تداعت الامور هكذا كخيول السباق . الفكرة الاقوى
تدفع صدرها الى المقدمة . تجري بلا ارادة تقودها سوى ارادة انبات
الذات . ولكن .. لنبدأ من الاول . ان الاشياء تتفقد فلا يكون لها اخر
اذا لم يكن لها اول (يسكت) هل قلت لكم ان البداية خالفت النهاية ؟
حسناً .. هكذا كان . ولكن تفضلوا . خذوا راحتكم .. اذا بقيتم
واقفين فلن تستمتعوا بالحكاية .
(يجلسون متتابعين الي الحائط ، كأنما نومهم كلامه ، يغيب
بالتدريج حتى نسمع صوته دون ان نراه) .

روبير - لا تريد ان نتعرف اليه لئلا يفضحك .. مفهوم ، مفهوم .
الدليل - ما هو المفهوم ؟ قلت لك (من بين اسنانه) انه سفاح
ولست مسؤولا عما يحدث لكم .. مفهوم ؟؟
روبير - لا يبدو عليه أي شيء مما تقول .
الدليل - ولكن النشرة .. هل تكذب النشرة . اتعرف عقوبة من
يكذب نشرة مديرية الانار ؟؟
الشيخ - اعزني هذه النشرة (يقرأ) هيه .. غريب !! هكذا وصلت
اليكم حكايتي اذن . انا هنا سفاح واكل لحوم الموتى (للدليل) هل
تري على اصابعي اثار دم يا سيدي ؟
الدليل - لا ارى .. لم اعد ارى .
جونز - طبيعي ان يجف بعد مرور خمسة آلاف سنة .
الشيخ - دم الجريمة لا يجف ، الجريمة لا يجف دمه .
روبير - صحيح .. هذا حق .
الدليل - ولكنها ماتت وجف دمه ، وهي الان من الانار . انت
نفسك تابع لمديرية الانار .
مسز جونز - لا تجادله .. لن تعرف الامور احسن منه . لقد
عاصرها ولا يمكن ان ينسى حياته .
روبير - اسمح لي أسألك سؤالاً محدداً : هل انت قاتل ؟
الشيخ - أنا ؟ (يفكر) ربما كنت بريئاً-كطفل . وربما كنت قاتلاً
للايين البشر .
جونز - أوه ، كلام متناقض .
مسز جونز - دعه يا عزيزي يكمل كلامه . قال لك ربما ..
الشيخ - لقد تداعت الامور هكذا كخيول السباق . الفكرة الاقوى
تدفع صدرها الى المقدمة . تجري بلا ارادة تقودها سوى ارادة انبات
الذات . ولكن .. لنبدأ من الاول . ان الاشياء تتفقد فلا يكون لها اخر
اذا لم يكن لها اول (يسكت) هل قلت لكم ان البداية خالفت النهاية ؟
حسناً .. هكذا كان . ولكن تفضلوا . خذوا راحتكم .. اذا بقيتم
واقفين فلن تستمتعوا بالحكاية .
(يجلسون متتابعين الي الحائط ، كأنما نومهم كلامه ، يغيب
بالتدريج حتى نسمع صوته دون ان نراه) .

رويت قصتي آلاف المرات خلال آلاف الاجيال ، فنسيت بعض
الحوادث سهواً ، واهملت بعضها الاخر عمداً ، ولكن لا انسى البداية .
هل انسى شبابي ؟ نعم .. كان لسي شباب . لان الشيوخ لا يولدون
بشعر ابيض ، وعيون غائرة تدمع ، ووجه متجمدة سائلة الجلد . وكانت
لي احلام الشباب وآمال الشباب . كانت لا يسعها الوجود لانها تسمى
الى اخضاع الوجود . لكن .. ماذا يفيد الكلام عن امور مرت عليها
آلاف الاعوام ؟

المشهد الثاني

« راغب جالس امام طاولة الرسم يدخن وهو يفكر . يدخل
صافي .. »
صافي - ألم تنته من مشروعك بعد ؟
راغب - (يلقي اليه باهمال ورقة ملفوفة) خذ . انسمي هذه
القطرة مشروعاً ؟
صافي - (ينظر فيها) ايه .. حسب المقاومة ولم تنتظري ..
اعترف لك انك نشيط ، نشيط جداً .
راغب - جسور وقناطر وخزانات ومجار ... في مثل هذه
التفاهات يضيع عمرنا .
صافي - ماذا تتوقع ان تهندس للناس اذن ؟ جسور الى القمر ؟
نحن نفعل ما يحتاجه الناس ، وهم يحتاجون الى خزانات ومجار .
راغب - لا تؤكد لي ذلك . اعرف اننا دائماً تحت الطلب . لم
نحاول يوماً ان نتمرد .. ان نتجسس مشروعاً لا يطلب المتعهد خريطته
خلال اسبوع .

شعر

من منشورات دار الاداب

ق . ل			
٣٥٠	للشاعر القروي	الاعاصير	●
٢٠٠	لفدوى طوقان	وجدتها	●
٢٠٠	» »	وحدتي مع الايام	●
٢٥٠	» »	اعطنا حبا	●
٣٠٠	لعبد الباسط الصوفي	ايات ريفية	●
٢٠٠	لفواز عيد	في شمسي دوار	●
٢٠٠	لهلال ناجي	الفجر آت يا عراق	●
٢٠٠	لعبدان الراوي	المشائق والسلام	●
٢٠٠	لخالد الشواف	حداً وغناء	●
٢٠٠	لحمد الفيتوري	عاشق من افريقيا	●
٢٥٠	لصلاح عبد الصبور	احلام الفارس القديم	●
٢٥٠	لصلاح عبد الصبور	اقول لكم	●
٢٠٠	لمعين بسيسو	فلسطين في القلب	●
٢٠٠	لحسن النجمي	كلمات فلسطينية	●
		بيادر الجوع	●
٣٠٠	للدكتور خليل حاوي	سفر الفقر والثورة	●
٢٥٠	لعبد الوهاب البياتي	الناس في بلادي (ط . جديدة)	●
٢٥٠	لصلاح عبد الصبور		

صافي - العولة . انها غنية . . ولكن الملك آشور مشغول الان
بمشروع اخر . اعلن انه سيبنى قلعة من جماجم الاعداء .
أرأيت ؟ لست المهندس الوحيد في هذه المدينة .
راغب - سيبني قلعة ؟
صافي - ويحيطها بخندق من الدماء . . أرأيت الخدمات التي
يؤديها الى البشرية ! !

راغب - اذا عرضت المشروع عليه وشرحت له الفائدة ، فربما
اقتنع به .

صافي - سيقتنع به اذا كان وسيلة الى اذلال جيرانه من الملوك .
راغب - واحسب انه ينفذه .

صافي - لا اظنك جادا في قولك . بعد ان قتل سنمار !! افضل
ان اتعامل مع لص ولا اتعامل معه .

راغب - ان سنمار مفرور .

صافي - ولكنه مهندس بارع . كنت اقول له : الملوك لا يؤمن
جانهم . فابى ان يسمع نصحي . كان يحب مشروعه وقد قتله هذا
الجب .

راغب - ان مشروعي يختلف .
صافي - اما آشور فواحد لا يتغير (صمت)

راغب - والزمان يمر . . والعمر ينقضي . ما جدوى حياة تموت
تحت ركام هذا الكهف ؟ اخترعت ، رسمت ، ألقت . . لا احسد يدري
بي . لا احد يلتفت الي . الا يحق لي ان ارى مخلوقاتي تعيش ؟ انها
تولد فأحفظها في الخرائط بعد شهر و . .

صافي - . . وتكتب عنها : هنا ترقد بسلام مشاريع المهندس
راغب بن جامش وشركاه .

راغب - هل تسخر ؟
صافي - وأنا ، ألت مثلك ؟ ولكن يجب أن نكسب عاقلين ،
انه آشور .

راغب - ليكن الشيطان نفسه . أشتهي أن أرى القلعة قائمة
أمام بصري ، ثم ليفعل بي الشيطان ما يشاء .
(قرع على الباب)

صافي - (يفتح) ماذا تريد ؟
رسول - مولاي الملك يدعوكما للمثول بين يديه .
صافي - الملك آشور ؟!

رسول - وأرى لكما أن تعجلا في الحضور (ينصرف) .
صافي - آشور !! انه الشيطان الذي كنت تستدعيه لتهب لسه
حياتك . . ماذا يريد منا ؟

راغب - ماذا يريد ملك من مهندسين ؟ سنبني له حائطا او نحفر
خندقا .

صافي - أخشى أن يكون سمع بأمر الرافعة . . سيجبرنا حينئذ
على استخدامها في هدم الحصون .

راغب - ما رأيك أن أعرض عليه مشروع القلعة ؟
صافي - كما تريد ، انما . . .

راغب - لقد طال ما استخدمنا في مشاريعه ، فدعنا نستخدمه
مرة واحدة .

صافي - ولكنه رجل حرب .
راغب - سأشرح له فائدتها الحربية أيضا .

صافي - كن حذرا . . انه داهية .
راغب - طبعاً ، طبعاً . . مشروعنا العلمي فوق كل اعتبار .

المشهد الثالث

((قصر الملك آشور . الملك جالس على كرسي مرتفع ويديه
مروحة . الوزير))

آشور - قلت لك أن تنصب عرشي على الماء . جسدي يتلهب
ولا يطفئه الا الماء . ولكنك بسئ الوزير لا تعمل على راحتني .

صافي - نويت ان نشارك مع المتعهد في تنفيذ . .
راغب - نويت ، نويت . . الاعمال بالنيات الا في العلوم : الاعمال
بالنفيذ . نظرتي هذه ستعيد للعمران سابق مجده ، وسوف يسكن
الناس في بيوت لا تبليها الايام . تصور انك جالس الان في بيت جدك
العاشر . أن تشعر بالاستقرار والتأؤم ؟

ان الامن هو أساس الحضارة . سوف تحس بان خيط النار يخ
متصل بينك وبين الانسان الاول ، وهذا الامن هو الحافز الى العمل .
حينئذ . . تخف حدة الثورات الشعبية او تزول . ويرضى الناس عن
زمانهم وحكامهم ، وتحل ارادة التغيير الهادي محل التغيير الصاحب
العتيف .

صافي - أوه . . نظرتك هذه ستمنع سفك الدماء !?
راغب - كما اقول لك . لو احسن استخدامها لكنت فردوسا ،
فردوسا حقيقيا .

صافي - هل تنتهي الحروب لان كل مواطن له بيت عتيق سكنه
جده العاشر ؟ !

راغب - هذا جانب من التطبيق . فلو بنينا مدينة بهذه الطريقة ،
ثم حفرتا حولها خندقا واحطانا بسور متين فلن يطعم بها الفزاة ،
وسيتركونها تبني الحضارة كما تريد .

صافي - هذه ليست مدينة ، انها قلعة .
راغب - لتكن قلعة . اسوارها عالية تنطح السحاب ، وحولها
خندق مملوء بالماء وفي داخلها مرافق الحياة كلها .

صافي - والحصار ؟ ماذا تفعل اذا حاصرها الاعداء ؟
راغب - سيكون لها سرداب طويل يمتد الى الريف حيث تأتيها
المؤونة والتجذات .

صافي - سرداب يمتد الى الريف ؟ مستحيل . .
راغب - (ينشر الخريطة) ليس مستحيلا . رسمتها وقدرت
التكاليف .

صافي - هيه . . السرداب متدرج وفيه محطات استراحة ، ومناطق
حراسة .

راغب - اظنك اقتنعت الان بجدوى هذه القلعة ؟
صافي - لا عيب فيها الا انها : في الهواء .

راغب - ماذا تعني : في الهواء ؟!
صافي - انها قلعة في الهواء العليل ، تفكر فيها العقول ، ولا تحفر
اساسها المائل ولا تبني اسوارها الرجال . . وهي فوق ذلك غالية
التكاليف .

راغب - ولكن فائدتها اضعاف تكاليفها . . انها ستمنع الحروب
وسفك الدماء .

صافي - لتكن موضوعيا يا اخي ، ولا تفرنك الاحلام ؟
راغب - ليست احلاما . . اذا امتلك كل ممسك قلعة حصينة
كهذه القلعة ، فسوف يباس الملوك ، ولا يجدون جدوى من القتال
والحصار ، فيسرحون الجيوش ويستخدمونها في الزراعة والصناعة وفي
كل نافع للانسانية .

صافي - هذا رضاء لا شك فيه .
راغب - . . . واذا اشبع الانسان حاجات بدنه في ساعات من
النهار فلا بد له من التفكير بعد ذلك .

صافي - سيكون جميع الناس مفكرين !!
راغب - سيكونون بشرا يرتفعون بمقولهم عن الحيوانية .
صافي - آه ، نوابك طيبة جدا .

راغب - ان تنفيذ هذا المشروع سيحمر الانسان ويرفعه الى المرتبة
التي يجب ان يكون عليها منذ قرون .

صافي - شيء نافع ، مشروع رائع . ولكنك لن تجد من ينفق على
بناء قلعتك هذه .

راغب - ليت الدولة تصغي الي .

الوزير - هذا القصر أقل حرارة من الجحيم .. كما أرى .
اشور - الجحيم !! هل الجحيم الا صاحب بليد ؟ هنالك كنيسة
اجد صحية مسلية ، يسميني حديثهم ما أنا فيه من العذاب .
الوزير - بالامس فقط ، رجعت جلالتك من معركة ظائرة . انك
تعيش الحوادث المسلية بنفسك ، ولا حاجة بك للسامرين .
اشور - بدأت أسام هذه اللعبة .. اهجموا ، اقتلوا ، اسلخوا
الاجساد ، افشروا الرؤوس !! أقول لك بصراحة : أخذت أشعر بأهانة
امام الرفاق الاخرين . مهنتنا هذه لا تدل على غير البلادة .
الوزير - البلادة؟! هذه عبقرية . ليس من السهل أن تهـسـزم
جيوشا بأكملها في معركة واحدة .

اشور - أية عبقرية في أن تحمل بلطة وتفلق بها رأسا بشريا ؟
انها منتهى البلاهة . اني أشم رائحة مؤامرة تدبر ضدي .
الوزير - هل تشك في اخلاصي يا مولاي ؟
اشور - أنت لا تقدر مواهبي حق قدرها ، فلا تهيب لي عملا
تظهر فيه عبقريتي على حقيقتها .
الوزير - عندي لك اليوم مجموعة من الاعمال المشيرة .
اشور - اقرأ جدول الاعمال ، لنرى ..
الوزير - راهب ارثوذكسي انشقق عن الكنيسة وانتحى فسي
صومعة الجبل يعبد الله على طريقته .

اشور - وماذا تريدني أن أفعل به ؟
الوزير - كنت أظنك تريد رده الى الكنيسة ، أو تفتنه عن
طريقته هذه .
اشور - دعنا من هذه اللعبة الخاسرة . يقاوم قليلا ثم ينهار ..
غيرها ؟

الوزير - مدير التموين .. يشتري مؤونته من السوق بنمـسـن
التسعيرة رغم وجود أكياس السكر والطحين تحت تصرفه .
اشور - هل أغراه أحد منكم ؟
الوزير - أغريناه طويلا ولم نفلح معه .
اشور - حولها لاحسد مساعدك ، وأوصه بالتنازل فيه عن
طريق زوجته .
الوزير - ثم هناك .. امرأة القاضي .

اشور - أوه .. دعنا من النساء .. أريد قضية ضخمة تشيع
بها شهرتي . كفاي ما لقيت من سخرية الاخرين . أنهم يحولون شعوبا
بأكملها عن سبيلها ، وأنا البائس .. ألهمت وراء زوجة القاضي وموظف
التموين .
الوزير - حسنا .. (يقلب الدفتر) عندي لك قضية تستحق
المعالجة حقا .. رجلان في لقمة واحدة .

اشور - (يتلهظ) رجلان معاً ؟ هل هما من اولئك السكيرين ؟
الوزير - لا يا سيدي . نوع جديد .. انهما عالمان .
اشور - علماء؟! لم أتعامل مع هذا الصنف من قبل .
الوزير - كيف يا مولاي !! والدكتور « فاوست » هل تنساه ؟
اشور - هذا الابله .. لم يستطع أن يزور امضاءه . لو كنت
مكانه فماذا تفعل يا وزير ؟

الوزير - أنا ؟ كنت .. كنت أهرب .
اشور - تهرب ؟ لو كنت مكانه لاكلت ورقة القعد ثم تجشأت
بعد ذلك .

الوزير - وأنى له مكر مولاي الملك !!
اشور - أعترف لك انه عميل شريف .
الوزير - لكن علماء هذه الايام طوروا مفاهيم الشرف .
اشور - كذلك يجب أن تطور أسلوب المواقف .. لن أقتع منهما
بقطرة دم فاسد على قرطاس قديم .

الوزير - أرى أن تستخلفهما بالاله الذي يعبدانه .
اشور - الاله ؟ أعرف اله العلماء .. لما جسوه بأصابعهم فسلم

يجدوا له شحما يؤكل ، قالوا : غير موجود .
الوزير - اذن استخلفهما بشرف المهنة .
اشور - لست المغفل الذي يخدع بهذه الالاعيب . لن أتعامل
بعد الان بالدين ، سأخذ الثمن نقدا وبلا ابطاء .
الوزير - هذه أسلم وسيلة .
اشور - أليس في هذه اللعبة امرأة ؟
الوزير - آسف يا مولاي .. هما من العلماء الذاهلين ، شغلها
البحث حتى لقد نسيتا أن يتزوجا .
اشور - ولم تذكرهما بذلك ؟ لا تحسب اني لن أضيف هذا
الى اضبارتك .. عالمان ينفقان عمريهما في البحث وأنت تنظر اليهما
لا تحرك ساكنا !?

الوزير - أنا لا أحرك ساكنا؟! انتظرت حتى نضجت الثمرة
يا مولاي . أعرف جلالتك لا تحب الثمار العجزة .
اشور - (ضاحكا) آه .. يا خبيث ! أحضرهما الي فقد أشرت
شهيتي .. العلمية .
الوزير - أرسلت اليهما منذ ساعة .
(يدخل رسول)

رسول - المهندسان يا مولاي .
اشور - أدخلهما .. لنرى .
(يدخل المهندسان)

الوزير - دعاكما مولاي الملك ليعرف ما انتهى اليه علمكما بعد
انقطاع ثلاثين سنة للبحث النظري .
اشور - ثلاثين سنة بلا عمل ؟ هذا تفريط لا أرضاه لاحد
من المواطنين .

الوزير - بل كانا يعملان يا مولاي .
اشور - وهل الجلوس في البيت واغلاق النوافذ والابواب
يدعى عملا ؟

الوزير - كانا يبحثان ، يخضران مشروعا لا أشك في روعتكم ،
فهما من المواطنين الذين عرفوا باستقامة السيرة والاخلاص لعرش
جلالتكم .

اشور - ايه .. أرياني اذن . ان البيضة التي جلستما عليها
ثلاثين سنة لا بد أن تنفقس عن ديك عجيب .
راغب - بل عن نسر هائل بارادة مولاي .
اشور - نسر ؟ هل اخترعت شيئا يطير ؟ سيساعدنا هذا على
نقل المؤونة الى كتيبة حوصرت في سمرقند .
راغب - انها قلعة .

اشور - قلعة؟! تنقطع ثلاثين سنة عن الدنيا ثم تاتي لتقول :
اخترعت قلعة ، على قلة القلاع عندنا !?

راغب - (مضطربا) انها .. ليست ، ليست كهذه القلاع .
اشور - وأي غبي يجهل كيف تكون القلعة ؟ سور وأبراج وخنق
وحراس .. عندي سبعون قلعة ، أربعون منها في حالة حصار .. قل
لي ماذا تفعل في حالة الحصار ؟

راغب - مشروعني متكامل ولا يمكن مناقشته بهذه الطريقة .
الوزير - لعلها نوع حديث من القلاع يا مولاي !
راغب - ليست نوعا حديثا فقط ، انها ثورة .. ثورة في هندسة
القلاع . ستمنع نشوء الحروب وسفك الدماء . الارض كلها أصبحت
في حالة حصار ولن ينقذها الا مشروع شامل كهذا المشروع . لقد آن
للطبول التي تدق رقصات الحرب أن تبدل نغمتها الى رقصات العودة
للديار ، وأن لكل المتحاربين أن يكسروا سيوفهم ويصهروها منساجل
ومعاول ومحاربت .

الوزير - وهذا ما يسمي اليه مولاي اشور .
راغب - والاخرون يسعون ايضا . والنتيجة : مزيد من الحروب ،
مزيد من الدماء .

الوزير - كل الآخرين على باطل . الحق معنا وينبغي لك أن تناصره ،
اشور - لا أدري كيف أفسر ضعف الشعور القومي لدى المهندسين هذه الأيام !!
الوزير - ربما كانت نوعا من العدوى . هل صافحتما سنهـامـار قبل أن يموت ؟
اشور - لا يمكن أن تكون عدوى ، سنمار مات دون أن يلامسه أحد .

صافي - (يتبادل نظرة مع راغب) اسمح لي يا مولاي ! ان حماسة أخي الشديدة منعت من عرض مشروعه بهدوء . هذه القلعة مشروع منظور ، لم يقصد لذاته بل لما ينتظر منه من نتائج ، أستطيع أن أقول : انها باهرة . أنظر الى أسوارها ما أعلاها !!
اشور - حقا .. عالية جدا .

صافي - صممناها بحيث تكون قريبة من القمر ، فلو ألهبت حصانك لوئب بك الى القمر في قفزة واحدة . ومن كانت له رجل في القمر ورجل على الأرض فقد ضمن السيطرة على الكوكبين معا هذه القلعة تمنع الحروب ، كما قال .. ولكن حين تعجل بالنصر .

اشور - آه .. تعني ان المنتصر يقول : كفى ما أريق مسن السماء !!

صافي - تماما .. هذا ما قصد اليه .
راغب - لم أقصد لأن تكون وسيلة الى الشر .
اشور - وأي شر في حماية الحق ؟ ان الحق يظل باطلا حتى تناصره القوة . وان كنت نطن القوة نوعا من الشر فأنصحك أن تفت خرائط المشروع في صحن شوريا ، وتأكلها حين تحس بنوبة مسن نوبات القوة . يخاف من الحرب !! خوف العجائز من قطة سوداء . أراهن على انك لا تقص أظفرك في الليل ، ولا تصفر لثلا تجمع عليك العفاريث . يخاف من الحرب !! تريد أن ترتاح ، تهوت على فراشك ومن حولك العجائز يحرقن البخور ويقرآن الاوراد (صمت) .. لا أوجه كلامي اليك وحدك ، بل الى كل العلماء من فصيلة الخائفين ، أقول لكم : أنتم لا تحبون الانسانية . نعم ، يا صغيري المهندس . أنتم لا تحبون الانسان .

راغب - كيف ؟ نحن لا نجب الانسانية !! اننا نحن ..
الوزير - آه .. لا تقاطع مولاك الملك .
اشور - تسألني كيف ؟ أنتم تعملون على فناء الانسان بأن تمنعوه من الحركة . ومتى يأسن الماء وتفوح رائحته ؟

الوزير - .. حين يتحول عن النهر ليسكن في المستنقع .
اشور - أنتم تطالبون بإنشاء مستنقعات عالية للضعفاء والكسالى والمتواكئين ، تطالبون ببناء تكايا لعبيد المدة والطعام اللدسم ، كل ذلك باسم السلام .

راغب - ولكن .. لا أرى سببا لتعريض الناس للخطر .
اشور - بل هناك ألف سبب كلها معقول . وماذا يفعل الخطر سوى انه يوقف قوى الانسان ويسمو بروحه وينهي عقله ويدفعه الى تجاوز واقعه البائس الى مستقبل مشرق عظيم .

الوزير - وهل يريد العلماء للانسان غير المستقبل العظيم ؟
صافي - تماما .. لا يريدون له غير ذلك .
اشور - رأيت ؟ نحن متفقون على انه يجب ايقاظ هذه الجموع الغافلة ، تزحم الأرض كالديبان .

راغب - طريقة رائعة لايقاظهم بسخم محمى من الحديد .
اشور - ليس ذنبي اذا كان نومهم عميقا الى درجة السوت .. ومع ذلك ، ورغم كل هذه المفريات باستعمال القوة ، تراني : أستسلم للضعف البشري .. وأسعى الى السلام .

الوزير - أنتم تفصكما الروح العلمية . ان أي عالم يتمنى لو يتاح له تنفيذ مشروعه ثم يسأل عما وراء ذلك . ان كانت قلعتك

صالحة - وهذا ما سوف نراه ، فانها ستقف شامخة تخلد اسمك بين الاجيال ، ترفبها العصور وهي تقول : هذه صنعسة مهندسي العصر الذهبي من حكم اشور العظيم . هل معك الخرائط ؟ (يقدمها الملك)
القي عليها نظرة يا مولاي .

اشور - اطمانا الان اذن !! اه .. ما هذه ؟ تبدو مثل كرنية نزعـت من جنورها .

الوزير (يكتم ضحكه) حقا ، تشبه الكرنية ، وهذه اوراقها .
اشور - لم تقل انك نباتي أيضا !!
راغب - (يلقي نظرة) .. صحيح أنها تشبه الكرنية ، ولكنك أمسكتها بالقلوب .. يا مولاي .

اشور - اه .. هذه الاسوار ، وهذا الخندق ، والابراج .. ولكن الحصار ، كيف نفعل في حالة الحصار ؟
راغب - كل ذلك مدروس على احسن حال . غدا اصنع نموذجاً مصغراً وترون امكانياتها .

اشور - طيب . طيب . اصنع النموذج . ولكن كم تقدران لها حتى يتم البناء ؟
راغب - ربما .. عشرين سنة .
صافي - اظن اكثر من عشرين .

اشور - كما تشاءان . ان عمركما هو الذي يمضي . فكلمنا أسرعتما كان خيراً لكما (ينحنين لينصرفا) هل أنتما شقيقان ؟
راغب - نعم يا مولاي .

اشور - كننما تميثان مما كل هذه المدة ؟
راغب - نعم يا مولاي .
اشور - ولم تفترقا أبدا ؟
راغب - لم نفترق يوماً واحدا .

اشور - رائع .. رائع . أرني هذه الخرائط (ينظر فيهما) مهم .. القلعة دائرية الشكل وهذا يساعدنا . حسنا . لبدأ كل منكما من ناحية . فأنت تذهب شرقاً وأنت تذهب غرباً . فاذا التقيتما تكونان قد أنجزتما القلعة .

الوزير - آه . فكرة عبقرية .. عبقرية نادرة !!
راغب - ولكن لم نفترق يوماً واحدا .
صافي - تعودنا أن نعيش معا ، ولا أدري كيف نفعل الان !!
راغب - هذا الفراق سيؤخر العمل .
صافي - لا بد من الاجتماع للتشاور .
الوزير - يمكن التشاور بغير اجتماع .

اشور - سوف يكون لكل منكما بيت يقيم فيه ، وناد يتردد اليه ، وأتباع يساعدونه في عمله .. وسمره أيضا .
الوزير - حياة مثالية لا يحلم بها عالم في عصرنا .
اشور - يؤمني أن تفترقا وأحس بالاسف لذلك . ولكن لا بسد من التضحية برغبات النفس الواحدة في سبيل الانسانية التي نعمل جميعا على انتصارها .

(يشير لهما فينصرفان . صمت .. الملك والوزير يتبادلان النظر ويسمان) .
اشور - كيف رأيت الامور ؟

الوزير - كنت قد أعددت هذا العقد اليوقعه ، انما .. بعد أن رأيت ما رأيت لا أجد حاجة الى العقود (يهزقه) غير اني ما زلت أجهل كيف تستوفي هذا الدين الباهظ ؟

اشور - حين يهدم ما بنت الثلاثون سنة من الاخاء ، وسوف ترى كيف أصفي حسابي مع هذين الفرخين من تنايل السلام .

المشهد الرابع

((النادي . صورة كبيرة للقلعة على الجدار . صافي وثلاثسة من مساعديه)) .
الأول - صدرت طبعة المساء من جريدة الورشة القريبة .

صافي - سأقرأها من بعد .

الاول - كما تشاء ، لكن فيها بعض الاخبار حسبتها تهتمك .

صافي - هل انتهوا من البرج العلوي ؟

الاول - لا يمكن ان ينتهوا قبلنا .. مستحيل .

صافي - اذن ؟

الاول - (ينشر الجريدة أمام صافي) أنظر هذا العنوان !

صافي - متى صدرت ؟

الثاني - هذا المساء . ويبدو انهم سبقونا بـ متر ، مترين فملأوا

الدنيا بالصراخ .

الثالث - أكدنا لك يا سيدي ان نواياهم سيئة .. وها أنت

تري صدق ما أكدناه .

الاول - كان هذا رأيي من الاول .

صافي - لعل أخي لم يقرأ هذا المقال ، فقد كتبه رئيس التحرير .

الاول - رئيس التحرير ؟ انه مساعده ويأتمنه على كل اسراره .

الثاني - كيف لا يدري به ومقتطفات من اقواله وضعت بيـسن

قوسين !!

الثالث - حقا .. وما بين القوسين أشد من بقية المقال .

انتهتهم كيف ركزوا على ناحية معينة ؟

الثاني - خطتهم واضحة ، يتهموننا بالعيوب التي فيهم .

الاول - والذي غاظهم أشد الفيظ هو اننا عملنا لسو

لاحتظم انهم ...

صافي - (يرمي الجريدة وينهض) لا أدري كيف يسكت أخي

على هذا المقال !!

الاول - اقرأ يا سيدي هذه الفقرة (يقرأ دون ان ينتظر) :

((.. وان دل هذا التهاون على شيء فانما يدل على رغبة مبيتة

في تأخير العمل ، وتأجيل أمد اللقاء ، هذا اللقاء الذي كنا نـسـراه

الحافظ الوحيد على الاسراع ، والدافع الى الجهد ومواصلة الكفاح .

ويكمن وراء هذه التصرفات الحمقاء حقد مبعثه شعور بالنقص ، وقد

أنتج هذا الشعور كراهية صرفتك عن لبقيا أخيك ، ففدوت لا تحب أن

تراه لما يعتدل في نفسك من وساوس وضاغان ، لسنا عنها غافلين)) .

الثاني - أوه .. كفى ، كفى سخفا !

الثالث - هذا كلام لا يصدر عن أخ صادق الاخوة .

صافي - هذا ما أقوله ، ان أخي لا يمكن ان يرضاه .

الاول - كنا نرغب لو انه لا يرضاه .. ولكن هل نكذب

عيوننا !!

الثاني - لسنا من الحق بحيث نكذب ما نرى ونصدق ما كنا

نسمع .

الثالث - الواقع أوضح من الظنون يا سيدي المهندس .

الاول - التهاون ؟ هه .. سبقناهم الى العمل فقالوا تهاونتم

وأنتم لا تعرفون كيف يكون البناء ، وحين أبطانا ..

الثاني - .. حين أبطانا أنهمونا بالحق واننا لا نفعل شيئا

غير أن نلعب البوكر أثناء الدوام .

صافي - تمنيت لو أرى رئيس التحرير هذا .

الثالث - هل أذهب اليه ألقته درسا في الملاكمة ؟

الثاني - أنا أفضل أن أكسر ذراعه ليري فوائد الكتابة فـسي

الجريدة المسائية .

صافي - الفوائد .. فوائد الكتابة .. فوائد الاشياء !! ما فائدة

هذا كله ؟ فلنا سنبنني قلعة تصل أبراجها الى السماء ولا يبقى بينها

وبين القمر الا خطوة واحدة .. ولكن لم نسائل أنفسنا مرة واحدة :

لماذا نفعل ذلك ؟

الاول - الدوافع علمية .. لا يمكن أن نهمل الدوافع العلمية .

صافي - واضراب العمال الاسبوع الماضي ، هل دوافعه علمية ؟

الاول - اعتقد يا سيدي ، ان معهم بعض الحق فالاجور

منخفضة ، ولكن هذا خير من البطالة .

الثاني - ثم ان التقدم العلمي سيكفل لهم حياة فضلى .

صافي - هذا ما يقال : حياة فضلى .. ستصير الدنيا فدح لبن ،

ويتحول البحر الى طحينة . ومع ذلك نرى الاطفال يموتون جوعا ،

وأباؤهم يسكنون الكهوف او ينشون اكوام الاوساخ بحثا عن

لقمة طعام .

الثالث - في الشرق الاقصى يأكلون الكلاب .. معك حـق ،

لا معنى لكل ما يتفق على تشييد هذه القلعة .

صافي - ان كان له معنى فانه يفقد طعمه في زحمة الحرمان .

الاول - على كل .. الانسان ليس معدة فقط .

صافي - وليس عقلا أيضا . بالامس بنوا الاهرام على جثث

العبيد ، واليوم نشيد قلعتنا على جوع الملايين وحرمانهم .. لسولا

الخشية لقلت كلاما جارحا .

المساعدون : لا يمكن أن يدري أحـسـد .. كلنا مخلصون لك

يا سيدي .

صافي - أعلم ، أعلم ذلك .. ولكن اخلاصكم لانفسكم اكثر ،

لا تأخذوا كلامي الا على انه رأي .. هواء لا يفعل شيئا .

الثالث - لا بد ان نفعل شيئا .

الثاني - لا يمكن أن نبقى جامدين .

الثالث - أرى أن نتوقف عن العمل ونعلن الحقيقة على الناس .

الاول - الان .. بعد أن كدنا نبنى البرج العلوي ، ولم يبق بيننا

وبين القمر سوى خطوة واحدة ، نعلن انسحابنا ؟! والمصاريف السابقة

هل تذهب هكذا .. في الهواء ؟!

صافي - لن نتوقف عن العمل . مستحيل . كنا أحرارا فـسي

اختيار الطريق فلنكن مسؤولين عما نلاقي فيه . لقد شاركت فـسي

هذا الحلم ودافعت عنه ، ورسمت له صورة زاهية الالوان ، ولكن

لم أتساءل عن تنفيذ المشروع وكيف يتم تنفيذه . مشينا وعيوننا

معلقة الى السماء . أسرتنا فكرة الشراء عن القمر . كنت دائما

أحارب الشعر ولا أعرف الدافع الى ذلك .. حتى توضحت لي

الامور .

الاول - يا سيدي .. هل نبدأ باسم العلم ونقف باسم الشعر ؟

الثاني - .. ثم ان الشعراء مساكين ، لا دخل لهم في القضية

من أولها الى اخرها .

صافي - مساكين ؟ فصيلة العالمين هؤلاء هم المسؤولون عن

الخطوات الاولى . وطالما جار أشياعهم من العاطلين :

قد طال في حبه التفكير والسهو اذا بدا قمرى لا يظهر القمر

طيب .. تفضلوا ، ها هو ذا القمر قد ظهر لا

الثالث - ذكرتني .. يقولون في الامثال : ان من يطيل النظر

الى القمر يصاب بالجنون .

الثاني - ونحن قضينا العمر نرقب القمر بالمناظير المقربة .

- التتمة على الصفحة ٥٥ -

تطلب ((الاداب)) وكتب ((دار الاداب))

في البحرين

من
الشركة العربية للوكالات والتوزيع
شارع المتنبسى

القلعة

– تنهية المنشور على الصفحة ٢٨ –

الثالث – .. لذلك صار جنوننا مضاعفا .
الاول – اذن انتهينا بعد المداولة ، الى اننا مجانين جنوناً مضاعفاً .
الثاني – هذه نهاية منطقية .
الثالث – لا يمكن ان نتخلى عن المنطق ولو أغضبنا .
الاول – قد تكون نهاية منطقية ، ولكنها نهاية كئيبة .
الثاني – كان يجب أن نستخدم المنطق من البداية . انظروا في أي موقف خرج وضعنا بداية خاطئة !
الثالث – الاساس الذي قامت عليه هذه القلعة ، أساس منخور .
الثاني – ولكن يجب انقاذ الموقف .
الاول – يجب انقاذ الانسان .. لقد ضاع الانسان في هذه الكومة من قطع التبديل .

صافي – يسرني انكم أدركتم الوضع على حقيقته .

الثاني – في الحرب الاخيرة حكى لي رقيب عن جندي داس على لقم يعمل بالضغط ، وأحس به فييس في أرضه لا يتحرك ، اذا رفع رجله مات وان وقف .. مستحيل أن يظل واقفا .
الثالث – طبعاً .. مستحيل أن يعيش الانسان فوق لقم !!
الاول – وماذا فعل ؟
الثاني – لا أدري . لان الرقيب أصابته رصاصة في صدغه قبل أن ينهي الحكاية .
الثالث – أوه .. حكاية معقدة جداً .
الاول – لنا أشباه اذن !!

(صمت)

صافي – اسمعوا يا رفاق ! سوف نتابع الطريق ونشارك فسي حصتنا من البناء . صحيح ان نوابنا طيبة ، ولكن في مثل حالتنا لا نجد النوايا الطيبة شيئاً . لقد أضمرت لآخي الود والمعبة فلم يمنع هذا من اتهامي بالتهاون والوسوسة ، والحقد والكراهية . انه ما يزال أخي (يشير للجريدة) .. ولا يمكن لعمود من الستائم أن ينسني الاخوة . انما .. نقطة مزوت جديرة بأن نعر حوض حليب . ومرارة الحقد لا يزول طعمها من الافواه .

الاول – ومع ذلك لا ينبغي أن نستسلم للماطفة .

صافي – هذا ما أفكر فيه أيضا . الاحلام هي عدو العلم الاول ، وملهمه الاول .. لا أدري كيف أشرح الامور فقد شملها الضباب من كل ناحية .

الاول – علينا أن نستخلص الخطوات العملية فهل لديك فكرة ما؟
صافي – أرى أولاً أن نشيع سر هذه القلعة بين اكبر عدد من العلماء والمختصين ، ليعلم بها ملوك الارض جميعاً .

الاول – سنحاول نسخ الخرائط من الان .

صافي – ثم سأبدأ دراسة مشروع لهدمها عند الحاجة .. أو اتخاذ احتياطات وقائية على أقل تقدير .

الثاني – وآشور .. اذا علم بأمرنا فهل نسلم من بطشه ؟

الثالث – هذا ما أخشاه ، ان يعلم بنا آشور . لقد قتل سمنار

لانه صرح بقدرته على هدم ما بنى .

الاول – فلنكن عقلاء ونسكت حين لا تدعو الحاجة الى الكلام ، ولنترك الى المهندس صافي تسيير الامور .

صافي – حين يشيع بين العلماء سر القلعة ، وتصل خرائطها الى جميع الملوك ، وتتخذ الشعوب احتياطاتها .. حين ذلك ، أفق على الاسوار وأعلن لآشور رأيي فيه وفي قلعة .

الاول – وما فائدة اعترافك ، حين ذلك ؟

صافي – سأبرر نفسي .. لا يمكن أن تشيع عني الخيانة

دون تبرير .

الاول – لا أظنهم يصفون اليك .

الثاني – أشتهي أن أرى وجه آشور في تلك اللحظة .

الثالث – أما أنا .. فأشتهي ألا يراني أحد في هذه اللحظة .

صافي – هه .. الاسوار عالية ، قريبة من القمر ! لم يبق بين

الانسان وبين القمر غير خطوة ..

الاول – وأظنه سيخطوها .

صافي – نعم .. سيخطوها . هذا البانس سيصل الى القمر :

بنظونه مرفع وحدأوه مثقوب وبني جيبه شطيرة من لحم التلاب .

الاول – دعونا نتابع العمل ، وننفص أيدينا من هذا الامر المهيمن .

صافي – أوصيكم بالكتمان فما زلنا نعيش في خطر .

الثالث – كيف ننسى هذا ؟

الثاني – أوه .. أكاد أسمع تكمة اللقم تحت أقدامنا .

(يهتم النظر ، ويتركز النور على صورة القلعة قبل أن تسقط

الى الارض)

المشهد الخامس

((النادي .. ثلاثة مساعدين واقفين أمام البار يشربون ويتناقشون وفي أيديهم الصحف . اثنان من الفعول يلعبان الورق على المنضدة في مقدمة المسرح ، فوقها زجاجات وكؤوس .. المصباح فوق المنضدة لفته سحب الدخان))

الفاعل ١ – قلت لك معي خمسة آسات .

الفاعل ٢ – يخرب ديارك .. خمسة آسات مرة واحدة !! هذا

يعني أن معك ورقين .

الفاعل ١ – معي ورق واحد .. هل تهمني بالفتش ؟

الفاعل ٢ – رح صب على رأسك سطل ماء بارد .. (يجمع

النقود) .

الفاعل ١ – ارفع يديك ، أحسن لك .. خسرت الدق ولن تأخذ

قرشا واحدا .

الفاعل ٢ – يا صغيري .. دوش ماء بارد أنفع لك من الخمسة

آسات التي معك .

الفاعل ١ – اذا ناديتني ((يا صغيري)) خطرة ثانية .. قتلتك .

حسبيني سكران .. أنا لا اسكر .. ولو شربت برميل عرق .

الفاعل ٢ – ولد .. هل نلعب مع أولاد ؟!

الفاعل ١ – من الولد ؟ .. ولد في بطنك .

الفاعل ٢ – هل تباع لسانك أو أفجح في وجهك دكان قصاب ؟

الفاعل ١ – قلت لك خمسة آسات ، ولكنك أعمى لا ترى ..

شف !! (يرمي الورق في وجهه) ..

الفاعل ٢ – (يجره من يافته وبينهما المنضدة) لك وجه شيطان،

والآس لا يالف وجهك الذي يقطع الرزق .

الفاعل ١ – اترك رقيبتي قبل أن أبخص عينيك .

الفاعل ٢ – سأقطع يد اللص التي تمسك بها آساتك الخمسة .

(تلاصق أنفاهما والاخرن ينظرون بلا اهتمام كأنهم تعودوا ..

يدخل المهندس راغب)

راغب – أوف .. كلما دخلت النادي رأيت واحدا منكم يمسك

رقبة الآخر . أي نوع من الوحوش أنتم ؟!

الفاعل ١ – يا سيدي .. خسرته ولكنه يرفض أن يدفع .

الفاعل ٢ – شرب سطل عرق ، فصار يشوف كل الورق آسات .

راغب – ابتعد من هنا ، انت وآساتك التي تسبب لي القثيان .

(يخرجان .. يحاول أن يثبت المصباح الذي أصابته لظمة فهو

يعشر النور . يجلس الى المنضدة بعد أن يكنس بيده ما عليها ويضع

أورافا لا يتمكن من متابعة النظر فيها) . .

أي لعمرة حلت بي . هدهد سليمان حبسوه مع طير من غير جنسه فكاد ينتحر . وأنا . . كتب علي أن أعامل مع هذا الجنس الملعون . . فماذا أفعل !!

(الثلاثة يدنون)

الأول - ليلة الأحد لها جوها الخاص .

الثاني - لا معنى للعطية بلا شرب وفمار .

رأغب - انظروا اليهما . . احتفظا بكل عادات جددهما الذي هجر القابة من مليون سنة . هذا النوع من البشر يجعلني أشك فسي ان أعمل الإنسان فرد . . بل حيوان ألن من الفرد .

الثالث (ملطفا) هذه مجرد نظرية .

رأغب - وهذان برهان على صحتها بلا جدال . ليلة الأحد !! ماذا فعل الأحد حتى ترتكب كل هذه الحماقات في ليلته !!

الثالث - يتعبون طوال الأسبوع ولا بد لهم من بعض الراحة في نهايته .

الثاني - هذا من الفعول الماهرين . . يعمل باخلاص .

الأول - . . ويسكر بنفس الاخلاص الذي يعمل به .

رأغب - نرون أن أنقاضى عن أعمالهم ؟

الأول - هذا واقع الحال .

رأغب - لم يكن من ضمن المشروع أن أتحمّل سكر العمسال وعريديتهم (بسخرية) وإذا عافبتهم ، فهل يعتبر هذا مخالفة صريحة لخراطئ القلعة ؟

الأول - يجب أن نتقاضى يا سيدي . . من العيب استبدالهم . كل العمال متشابهون : يقامرون ليلة الأحد ، ويسكرون ، ويضربون زوجاتهم . . كل الأيدي العاملة سواء .

الثالث - ربما سموهم أيدي عاملة لانهم (يعملونها) فسي أجساد زوجاتهم .

الأول - وهذه الحالة نفسها قد استغلها الآخرون لاشهير بنا . رأغب - ماذا أيضا ؟ هل أبهونا بأننا نمنع العمال من ضرب زوجاتهم ؟

الأول - الاضراب الاخير أيدته الورشة الثانية . وصرح المهندس صافي بأنه في جانب عبيد اشور .

رأغب - عبيد اشور . . ما زال مولنا بالعباير البليغة ؟

الأول - واعتبر حالتهم من السوء بحيث لا يمكن مفارقتها بعبيد الفراغنة .

رأغب - هل في كره لعبة ما يريد أن يلعبها ؟

الثاني - وزعوا بين العمال منشورات تحض على الاضراب ، وتدعو الى التضامن .

رأغب - التضامن . . التضامن من شان ايش ؟

الثاني - المنشور غامض ، ولكن علمت انهم أعدوا خطة وفائية ضد القلعة .

رأغب - وهل القلعة تسبب العدوى ؟

الثاني - انتهوا بعد مجادلة عنيفة الى انها خطر على السلم ، وتهديد لامن الانسان . وشكوا في الدوافع التي دعت الى تنفيذها . ووصفوها بأنها غير علمية . . بل أكثر من هذا ، بأنها خيالية وحلم من أحلام الشعراء .

رأغب - هل قالوا انها أحلام شاعر ؟

الثاني - وقد استشهدوا بالشعر وضربوا الامثال، وشبهها احدهم باللحم القابل للانفجار في كل لحظة .

رأغب - أذن . . دب الادب في هذه المنطقة من العالم ايضا !!

الثالث - أنهموا الدوافع بأنها (غير علمية) كان مناوشتهم هذه علمية !!

الأول - والمهندس صافي دافع عن فكرته بأن العلم انما وجد

ليرفع من مستوى العمال ، ولكنه لم يفعل ذلك . .

الثاني - فكرة مازرة . . نرضي الفوغاء الذي لا ترى أبعد من أنفها .

الثالث - وهي خطرة ايضا . . لانها تتبع المنطق الذي يفهم العمال به الامور .

رأغب - وأخي . . هل فرضوا عليه المناقشة ؟ أعرفه يحب المسايرة .

الثالث - المهندس صافي ! كان يفود المناقشة بنفسه وقصد وصف الانسان المعاصر بأن رأسه ناض ومعدته مليانة بلحم الكلاب .

رأغب - لهت من التعب . كلهم يلهثون من التعب . لا تنهض بالمشاريع العظيمة الا نفوس أشد عظمة منها . يلهثون ولا يجسدون الجراة على الاعتراف بذلك . ولكني ألح السنتم المتدلية وراء منشوراتهم الصفراء ، أسمع نباح اليأس بين كل هذه الضوضاء .

الأول - نصبوا أنفسهم محامين عن الانسانية دون استشارتها . رأغب - الانسانية !! أنا أجدر الناس بالدفاع عنها . وشعري هذا هل شاب سعيا وراء النساء ؟ منحت شبابي ودم قلبي هذا المشروع لارفي بالانسان ولو خطوة واحدة ، فيأني رجل من غمار الناس ليقول لك : دوافعك غير علمية فانت لا تطعم الجائعين . العلم هو الاول والمنتهى ، هو الغاية والوسيلة . وجوده يدل وجود الله . . لا يمكن تفسيره .

الأول - يريدون المفانم السريعة .

الثاني - البحث كالقيب . . هل يعلم انسان ما يخفي القيب ؟ الثالث - ولكن الاجيال القادمة ستستفيد من ابحاثنا بلا

جدال . .

الأول - لو سمعتم الشتائم التي فذقوا بها الاجيال القادمة (لرأغب) وقد استغلوا حياتك الخاصة أسوأ استقلال . أنت أعزب ، واعراضك عن الزواج اعتبروه اهمالا للاجيال القادمة التي لا تملك ذرية فيها .

رأغب - وهل نسوا دوافعهم العلمية حتى بين المرء وشهوته ؟! الأول - اذا بدأ المرء بداية خاطئة فلا يعلم غير الشيطان أين ينتهي .

الثاني - عجب والله . . يحنار الواحد كيف يعمل .

الثالث - عجب هذا المنطق الذي يتلوى مثل الدودة بين اصابعهم .

رأغب - اتخذوا جانب الجمال من عبيد المدة فلا تعجبوا لهم . انما أشيد هذه القلعة من أجل حياة مثلى . بالامس حول البحتت العلمي الدهماء الى ملوك . كان حفاة الصحراء يشمون فوق بحور من البترول ، جمالا عطشى وفوق ظهورها الماء . وجاءت اليوم اجيال أخرى من الحافين نجار : بحق الله توفقوا عن البحث وأطعمونا . الأول - هذه هي المسألة التي ارتكزوا عليها ، وبها ادعوا ان القلعة عمل مهين .

رأغب - عمل مهين ! دعوني أحمل أوزار القلعة وخطاياها . على كتفي هذين أشيل هذا العمل المهين (يدق على كتفه الايسر) وأنت يا ملاكي العزيز . غط ريشتك في حبر الكوبيا وسجل : اني من الان وقبل أن أولد بالف سنة وبعد ان أموت بالف سنة مسؤول عن هذه القلعة (للمساعدين) مجنون يحدث الملائكة ؟ لن أفقد عبقريتي حتى في أشد نوبات الجنون . اذا فقدوا الامل ، ويسوا من مستقبل العلم فليكن ذلك باسم اخر غير حب الانسان .

الأول - الحب ؟ هذه الكلمة تفقد معناها على السنتمهم .

الثاني - انه الحق . . لقد أدى نفوسهم أن يروا هذه القلعة تعلق كأنما بنيت فوق صدورهم التي سودها الحسد .

الثالث - ليس غريبا أن ينقلب حبهم الاول الى حقد شديد ، فليست هذه أول مرة ينهزم الحب فيها أمام شهوات النفوس .

الوزير - (ينحني) كل كثير قليل بجانب همة مولاي .
آشور - تدخل علي تضحك وانت لابس الابيض ، واليسوم اول
النيروز !!

الوزير - كل الارواح ترف ابتهاجا بهذا اليوم يا مولاي .
آشور - .. ربما تعطرت ايضا . (يشمه) يا احمق !! هل ترى
روحك لطيفة حتى تثقلها بكل هذه العطور ؟! اول النيروز وانت
منعطر ، ضاحك ، لابس الابيض !!

الوزير - اشارك الارض بهجتها يا مولاي .
آشور - ليست قشرة اذن .. مبهتج ، مبهتج حقا ؟!
الوزير - هذا اليوم الاغر يلوح في سماء اعمالك كانه نجمة الصباح
المشرقة .. الشعراء بالباب فهل ادعوهم ؟

آشور - وتدعو الشعراء ؟
الوزير - نعم ، ليشاركوا في تمجيد آشور العظيم .
آشور - الشعراء !! احضرت طبول الكلام اذن !!
الوزير - طبول الكلام .. لن تسهوا عن اهمية الطبول هذه الايام ،
يا مولاي !

(تنفرد طبول في العزف)
آشور - لا .. اعرف اهميتها ، تملأ الجو بفقاعات الهـواء .
ينقصنا الشعر والموسيقى في اول النيروز !!
الوزير - وقد حضرا اليك جميعا .
آشور - كم طيلا في الباب ؟
الوزير - سبعة .. كلهم من فرسان البيان .
آشور - ومن الطنابير ..؟

الوزير - تقصد النثر ؟ .. طنبور واحد .
آشور - ادخله .. وليكن خافت الصوت ، قصير النفس ، لا يشير
باصابعه كأنما يزيد ان يقتلع بها عين انسان ما .
الوزير - ولكن .. طيب .. عندي واحد ، وعيبت انسه اهتم ،
ينهم في الكلام .

آشور - وهل تعد هذا عيبا ؟ ادخله دون تأخير .
(يسرع الي الباب ويدخل الخطيب فيقف على كرسي عال فسي
صدر المسرح .. لا يقول شيئا بل يسلك صوته بنجاح اجش ويشير
باصابعه) .

الوزير - هل ارضيتك يا مولاي ؟
آشور - رضيت عنك ، لولا هذا العطر .. العطر الملعون . العطر
والشعر والموسيقى واول النيروز . هذا اول يوم من فصل الحب ، اول
النيروز .. هل فهمت أم ان عقلك ما يزال مشغولا بفرسان البيان
يرمحون وراء الباب ؟

الوزير - (تبوخ فرحته) اول النيروز ؟ اذن .. اول النيروز .
آشور - (بسخرية) نعم ، اول النيروز . يعني انتهت اجازتك
يا وزير الزمان . اول النيروز .. ولم تحص الداخلين سن الخامسة
عشرة ، ولا عينت المواقع الظليلة في الحدائق العامة ، ولا عرفت عدد
اعضاء الجمعيات النسائية ، ولا ضيوف الشرف في حفلات «الكوكتيل» !!
وهل بريت سهامها ؟ بل لعلك مارقت جعبة السهام التي انخرقت من
اول الموسم الماضي .

الوزير - حسارة .. اول مرة بعمرى البس الابيض ولا اهنأ به .
دائما كنت اتسام من الابيض ولا اصدق نفسي ، حتى اصابني شؤمه .
آشور - هذا حال الدنيا .. ماذا تفعل ؟ مهمة شاقة لست اول من
قاسى منها . انظر الي مثلا .. كان يجب ان تحزر سبب حزني دين ان
انخرت . البنخز دائما . اينما اوجد ارى شيئا يلزمه البنخز .

الوزير - كنت احسبه يوما شاذاً ، ليس كبقية الايام .
آشور - ولم لا يكون كبقية الايام ؟ الان احد الاغبياء بنى قلعة
تريدنا ان نترك اشغالنا ونفرج عليه ؟
الوزير - ولكنها عمل هائل شارك في بنائه جيل من البشر .

الاول - الامر اكبر من الحب والبغضاء . حين يخير الانسان بين
الفناء والخلود يدوس كل شيء في سبيل الخلود . واضح ان هذه
القلعة ستخلد اسم بانيها الي اخر الابد .
الثاني - وهم .. ألم يشاركوا في البناء ، فقد شاركوا فسي
الخلود .

الاول - كانوا تابعين والتاريخ لا يزحم ذاكرته بقائمة من الاسامي .
لا بد من اسم واحد يقترب بعمل واحد .
الثالث - فهمت خطتهم .. لن يخلد اسمهم في بناء القلعة
فاردوا ان يخلد في هدمها .

الاول - (لراغب) لا تؤاخذني اذا قلت لك : اخطأت حين شاركت
الاخرين في بناء القلعة .
راغب - نعم ، اخطأت .. ان قاعدة أعدت لتمثال واحد ، لا يمكن
ان يقف عليها تمثالان ..

الاول - الا ، اذا وقف احدهما فوق الاخر .
الثاني - ستكون ، حينئذ ، مهزلة وليست تخليدا .
راغب - لن أتزحزح وان اجعل قامتي السفلى ، وليكن أسوأ
ما يكون .

الثالث - ولكن المهندس صافي يحرك قدميه ليستولي على اكبر
قدر من المساحة .
الثاني - لقد هدد بان يكسر لك فكا أو ذراعا .
راغب - يكسر ذراعي ؟

الاول - .. قال ليملك كيف تستعمل الشاقول .
راغب - أخي قال ذلك ؟ ..
الاول - تصوروا يقول أخي بعدما حدث .. هذا افراط فسي
طيبة القلب .

راغب - من جاءك بهذه الاخبار ؟
الاول - الحمامة .. تعرف الحمامة ؟ (يهمس في أذنه)
راغب - طيب .. احتفظ بهذه الحمامة ، ولكن لا تجعل منها سراً
في احد الايام .

الاول - اطمن يا سيدي .. يفرح اصبعين اشارة للنقود) فانا
اقلم مغالبها بين حين واخر .
راغب - (يتجول كأنه محاصر) .. انقذونا من لقم سينفجر بنا ..
اطعموا العمال ، وتصدقوا على البائسين ، ارحموا عبيد آشور يسا
محسنين . اتخذوا التدابير الوقائية خشية العدوى !! فسات الاوان
وانتشرت العدوى حتى نخاع عظامهم . لم يبق وقت للتراجع .. امسا
ان يسيروا او ينتحروا . واخي وراء هذا كله ؟! ساودع الي الابد اخي
الذي احببته وشاركته حياتي . لن اعرف بعد الان اخا لي يدعى : صافي ،
ولكن مهندساً حسوداً ، ابرز نابه ومغلبه واسرع ينهش في جيفته
يسموننا : الخلود . سبكر يدي دفاعا عن فريسته ، وربما قتلني .
فرتك نفسك يا صافي . ساقلك قبل ان تجرؤ على نقض حجر واحد
من هذه القلعة . (صمت)

الان ادركت لماذا حرم آشور علينا اللقاء .
الاول - هل ندس له واحدا يقناله ؟
الثاني - هذه طريقة بدائية .. الاحسن ان نفصحهم في الصحف .
اليوم ساكتب افتتاحية تجعلهم يرتجفون عاردين .

الثالث - ارى ان نتجاهل الامر حتى نطلع على مزيد من الحقائق .
راغب - هيا .. دعونا نتابع العمل ، وننتهي من هذا المشروع ..
فانا مشتاق الى لقاء أخي .. أخي العزيز .

المشهد السادس

(آشور . الوزير . الخطيب ثم راغب . صافي . حرس)
(تسمع من بعيد موسيقى الاحتفال ، وهي ترافق هذا المشهد حتى
تفدو صاحبة في نهايته) .
آشور - ايه .. ما كل هذا ؟ هذا كثير يا وزير ..

آشور - .. وانت معجب به أيضا ؟

الوزير - هل انكر عبقرية المهندسين ؟ انا اعرف زبائني .. قلت لك من الاول انهما عبقران ولم تصدقني .
آشور - (صامت ، ينظر باستخفاف) اسمع .. لمن بنيا هذه القلعة ؟

الوزير - لك يا مولاي .

آشور - ومن حرصهما على ذلك ؟

الوزير - أنت يا مولاي .

آشور - ومن حشد لهما المساعدين ؟

الوزير - أنت يا مولاي .

آشور - ومن ساق اليهما الفعول ؟

الوزير - أنت يا مولاي .

آشور - ومن نحت لهما الجبال ؟

الوزير - أنت يا مولاي .

آشور - ومن طرد عنهما الياس ؟

الوزير - أنت يا مولاي .

آشور - ومن دفع اليهما الامل ؟

الوزير - أنت يا مولاي .

آشور - اذن ، من بنى القلعة ؟

الوزير - أنت يا مولاي .

آشور - فمن منا العبقرى اذن ؟ (يدي صدره بقبضتيه) انسا

يا مولاي ، انا يا مولاي .

الوزير - .. انت يا مولاي ، ولكن ..

آشور - لا ((لكن)) بعد الان .

الوزير - سامحني اذا قلت لك انهما خدعانا بطريقة لا احسن وصفها ، ولكنهما .. كانا متلهفين على رؤية المشروع شامخا وقد راياه .
آشور - رأيا المشروع .. رأياه ؟ (يضحك .. يعلو نباح الخطيب الاجش . يلتفت آشور اليه مفضيا) .. لقد رأياه . وهسل تحسبني ابله لاكون مطية مهندسين من ابناء الكهوف .. الكهوف الرطبة ؟!

الوزير - لا احسبك .. وهذا ما حيرني .

آشور - رأيت تشدق الاول بالسلام وبناء الحضارة ، ورخساء الانسان ، وكل هذه الكلمات التي يعرق لها الجبين ؟ .. هذه مطامح ، والمطامح يلزمها التنفيذ ، ولو حصل التنفيذ لوجب علي ان ألم متاعبي وانتقل الى الجعيم . لو نفذوا لارتديت حضرتك الابيض طوال العمر ، وشممت الريحان واطربتك القيان ، ودخل عليك الشعراء يصهلون .

الوزير - آه . الان فهمت لماذا طردوك من الفردوس .

آشور - لم يكن طردا بالمعنى المتداول . كانت مهمة ركبتي ، وكان وجودي ضروريا هناك . فلما اشعلت النار في الهشيم ، وتلهمت الكتلة الباردة التي عجن الله طينها بأصابعه ، انزلوها السى مملكة الحركة . وكان علي ان اراقفها كما يراقف المهندس الآلة الجبارة يدفمها الى العمل كلها وتوانت .

الوزير - لم اكن اعلم انك على هذا القدر من الهمية .

آشور - .. وقد تحير الانسان في تعليبي ..

الوزير - طبعاً .. شيء يخير .

آشور - .. رأني اول الامر افعي لان رغبته اتجهت نحو النسل والاختصاب ، وحين اتعبه النسل لعنتي لاني حرصته عليه .
الوزير - يا له من جاحد لئيم !!

آشور - كما اقول لك .. ان الانسان قد تتغير ازياء ملبسه ولكنه دائما يحكه شيء في صدره . شيء ما .. له فرص البرغوث وما هو برغوث .

الوزير - .. له فرص البرغوث وما هو برغوث !!

آشور - وهذا الشيء يفسره بحسب حالته . فان كان يانسا وفقد الاتصال مع السماء سماه التاريخ . وان كان اكثر ياسا وتشاؤما دعاه

غضب الله وضلال الشيطان .

الوزير - وهو في الحقيقة نفس البرغوث ؟

آشور - نفس البرغوث الذي نزل معه من الفردوس .. وهكذا ترى مهمتي الشاقة ، يجب ان اعلم وانا اتحمل اللعنات .

الوزير - لو كنت مكانك لانسحبت .. ما هذه الصفة ؟!

آشور - لا اريد ان ابالغ فسي اهميتي ، ولكنك لا تعرفني على حقيقتي .. لو انسحبت لوقفت الآلة وتعطل كل شيء .. لسو طار البرغوث ..

الوزير - .. لوقفت الآلة وتعطل كل شيء (يعيدها لنفسه) لو طار البرغوث لوقفت الآلة وتعطل كل شيء .

آشور - نعم ، يتعطل كل شيء . سكان الفردوس لا ارادة لهم فهم لا يكافحون ضد أي شيء ، لا توجد عقبات فلا يوجد كفاح . ثم .. لا توجد ارادة . هل تفهمني ؟

الوزير - قليلاً .

آشور - حسناً .. فانا لا اقول أشياء كثيرة .

الوزير - لو نظرنا الى طريقتك في العمل لا يمكن تشبيهك بالمخرز .
آشور - تماما .. وليست مهنة مشرفة ان تكون مخزراً ، وربما زل لسانك وناديتني : جلالة المخرز .

الوزير - لا يمكن .. مستحيل .

آشور - ليس مستحيلاً .. أنا ادعو نفسي بهـذـه الالقاب بعض الاحيان . اوكلوا الي امر الآلة وعلي ان اطعمها طوال حياتها .

الوزير - اوه .. يا لك من مهندس بائس عظيم .

آشور - هل فهمت سبب حبي للهندسة وآشفاقي على المهندسين؟
الوزير - اولاد صنعة يا مولاي . (بيتسما . نباح الخطيب يرتفع .. يصفيان قليلاً ثم يصفقان ويساعده الوزير على النزول) .

آشور - لا .. مدهش حقاً !!

الوزير - ولكن صوته خافت قليلاً .

آشور - هكذا احسن .. فانا لا احب الضوضاء .

(الوزير يقود الخطيب الى الباب وقبل ان يفتحه يسمع صوت من ورائه) .

الصوت - دعني اقابله .

حارس - ممنوع .

الصوت - قلت لك يجب ان اراه .

حارس - ممنوع .

الصوت - يجب ان اراه الان .

حارس - لا يسمح لاحد بالدخول عليه في مثل هذه الساعة ..

انتظر مع هذه الناس .

الصوت - لست مثل هذه الناس .

حارس - ومن تظن نفسك ؟

الصوت - قل له المهندس : راغب ، وسوف ترى .

حارس - لن اقول له ولن ارى . ممنوع .

آشور - صاحبك بدأ يزأر .

الوزير - برغوته العتيق يقرصه ويدفعه الى الزئير .

آشور - ادخله علينا لنرى .. صار لي زمان ما شغفت مهندسا يتلوى من قرص البراغيت .

(يدخل راغب ، وهو الان قد ازداد كبراً ، وابيض شمسره .
الخطيب يخرج . تغلو الموسيقى ، ثم تخفت حين يفلق الباب) .

راغب - (يتخني) سلام على مولاي الملك .

آشور - آه .. المهندس راغب . كبرت واسرع الشيب الى شعرك .

راغب - في خدمة سيدي .

الوزير - الشيب المبكر دليل العبقرية .

آشور - سافر بعبقرية مهندسك ، فان قلعته تستاهل ما أنفق في سبيلها . والذي يحزنني انها بنيت بسرعة ، والبناء لا يولد في النفس

رهبة اذا انجز في وقت قصير .
 راغب - هذا يشهد بقدرتك ومهارة عمالك .
 آشور - أين المهارة من قولهم : استغرق بناؤها سبعين عامسا ،
 وتعاقب على بنائها اربعة ملوك ؟
 الوزير - لا تلمه اذا جرى ، فقد كان في الطرف الاخر من القلعة
 أخوه ، وهو مشتاق الى لقائه .
 آشور - أخوه .. صحيح ، أين أخوك ؟
 راغب - (يتسهم بمرارة) أخي !! مشغول .. مشغول في البحث
 عن أسرع وسيلة لهدم هذه القلعة .
 آشور - (يضحك) اوه .. سيهدم القلعة . تأخر في النسيب
 كثيراً . الا تراه تأخر يا وزير ؟
 الوزير - (لراغب) هل تعني انه امسك موعولا وانحنى يحفر في
 أساسها ؟
 آشور - (ضاحكا) أه . أه . كم اشتهي ان اراه وهو يحفر في
 أساسها . سيبدو . أه . أه ، سيبدو مثل فارة تفرض الجبل لكي ..
 أه . أه (يعيس فجأة) شيء مؤلم ، مؤلم حقا ان تكون هذه (يشير
 بإصبعه الى صدغه علامة الجنون) نهاية مهندس نابغة مثله .
 راغب - ليس الامر كما تظن يا مولاي . انه عاقل ، بل يزعم انه
 اعقل منا جميعا .
 الوزير - هذه حال من يصاب في عقله ، يقف على رأسه فيسرى
 العالم مقلوبا .
 راغب - ولكنه واقف على قديمه ويحاول ان يرى العالم مقلوبا
 (ينشر ورقة كبيرة) انظر ! هذه نسخة من خرائط القلعة . هو عازم
 الان على طبع آلاف منها ونشرها في أنحاء الارض .
 الوزير - يريد ان يعيد قصة سنمار ؟
 راغب - يا ليته اعادها !! فان سنمار احتفظ بسره لنفسه . اما
 هذا فيريد ان يعلم سرها حتى الفلاح وراء محرانه .
 الوزير - أوه ، هل فعل هذا حقا ؟
 آشور - مجنون .. ويريد ان يعدي بجنونه الاخرين . احضره
 الي .
 حارس - مهندس اخر يطلب الدخول يا مولاي .
 آشور - ادخله .. جاءت الحماقة الينا تسمى .
 راغب - بل الخيانة يا مولاي .
 (يدخل صافي ، وهو هرم ايضا)
 آشور - ايه .. الخرائط ماشي سوقها ؟ بالجمل ام بالفرق تباع
 الفلاحين ؟
 الوزير - بيعهم على الموسم .. كل خريطة بكيل شعير .
 صافي - (لآخيه) كيف أنت يا راغب ؟ كبرنا وغيرتنا الايام ..
 راغب - نعم ، كبرت ، كبرت .. كل من اراه يقول كبرت .
 اطمئن فان انيابي سليمة ما نخرها السوس .
 صافي - انيابك !!
 راغب - واطفاري أيضا . في هذه الغابة لا بد للمرء من ايساب
 واطفار ليامن لدغ الافاعي .. انظروا اليه كيف دهش كان الذي يحاول
 قتلي شخص غيره .
 صافي - أنا احاول قتلك يا راغب ؟
 راغب - يا صافي .. قلها مرة ثانية بمثل هذا الحنان وانسا
 مستعد ابكي على كتفك . الا تحاول هدم القلعة ؟
 آشور - (لصافي) لم تقل لي لماذا توزع الخرائط على الفلاحين .
 صافي - وماذا يفعل الفلاحون بالخرائط ؟
 آشور - أنا اسألك فجاوب ولا تتغافل .
 صافي - عندي نسخ الخرائط وما وزعتها على احد .
 راغب - سمعت يا مولاي (عنده نسخ الخرائط ولكن فاجانه
 قبل ان يوزعها .

آشور - تخونني في اخر لحظة ؟

صافي - لم اخنك ولم اخن احدا غيرك . طلبت السي بناء نصف
 القلعة وقد بنيت لك نصفها .

راغب - ثم ندمت .. فتريد ان تهدمها كلها . هل لعملك هذا
 اسم غير الخيانة ؟!

صافي - نعم .. ندمت . حين رأيت كل هذه القوة تسخر من أجل
 الحرب وفتاء الانسان .. ندمت .

آشور - اشارك في بناء قلعة بمثل هذه العظمة ثم تقول ندمت ؟
 راغب - لقد دهش .. مثل دجاجة باضت نورا .

صافي - .. والنسر يحلق فوقنا يهدد بابتلاعنا في كل حين .
 اين الانسان .. هل إنقذته من حالة الحصار ؟

هل وفرت له الامن الذي هو اساس الحضارة ؟

هل كسر المتحاربون سيوفهم وصنعوا منها مناجل ومحارث ؟

راغب - اوه .. ها انذا اعترف اني مدهوش لبلاغتك . اذا يُسَمَت
 من العمل فقل : اني يُسَمَت . او كنت صاحب الفكرة لرأيت فوائدها .

وما جلست تصيد التعبير البليغة تقفز حولك كالقتران .

صافي - لقد سعديا على اكنافنا يا راغب .

راغب - سعديا .. قامتي اذن ، عالية جدا حتى يمكن الوصول
 بها الى ذلك الارتفاع .

صافي - .. ولكنها كانت السفلى .

راغب - قامتي ليست السفلى . انني الاعلى .. انني الاعلى بهذه
 القلعة التي ستخلد اسمي الى الابد .

صافي - لن يخلد اسمك ، فالقلعة لن تبقى

راغب - ستهدمها انت .. هاه ؟ قلبك اكله الحقد .. اعمساك
 الحسد !! ستهدمها .. ينتزع حربة احد الحرس ويطعنه) لن تعيش
 لترى ذلك . لن تعيش لتهدمها .. لن تعيش .

(صافي يتشبهت بستارة النافذة ثم يقف وتفتيه الستارة .. صمت
 قصير) .

راغب - صافي .. صافي أخي . هذا هو الشوق الذي ادخرته
 لك عشرين سنة (ينتحب) نعيش على امل اللقاء بي ثم اقتلك يسوم
 اللقاء . أحببتك .. واحببت علمي اكثر منك . اشتييت ان ارى القلعة

امام عيني ثم ليفعل بي الشيطان ما يشاء .. صافي ! لقد فعل الشيطان
 بي ما شاء . (يفتح صدره للحرس) اقتلوني ، اقتلوني ! (يشيرون
 للوزير .. يخاطب الوزير) اقتلني ، اقتلني ! (يشير لآشور .. يخاطب
 آشور) اقتلني كما تقتل حيوانا عجوزا لا فائدة منه . بنيت لك القلعة

وقتل لك أخي فلم يبق الا ان تقتلني .. اقتلني ماذا تنتظر ؟ (صمت
 .. يقطعه ضحك آشور الهادي)

آشور - (للوزير) أه . أه . هل نصنع منه شهيدا يا وزير ؟

الوزير - ولكن .. نحن لا ننتج هذا الصنف من البضائع
 يا مولاي !!

آشور - (لراغب) رأيت ؟ سوق الشهداء كاسدة هذه الايام .
 راغب - يا لك من ملك طماع لعين !! لم يبق الا ان اقدم لك روجي
 في ورق ملون . خذها .. غير مباركة عليك . (يريد ان يرمي بنفسه
 من الشرفة فيمسكه الحرس) .

آشور - الى أين ؟ جريمتان في وقت واحد !! اترك لنا الفرصة
 لنحقق فيك العدالة ولو مرة واحدة في العمر .. ارموه فسي السجن
 حتى نرى ما يكون .

(اطفاء سريع)

المشهد السابع

(الاضاءة تعود الى المشهد الاول ، ولكنها ضعيفة ، والظلام لا يسمح
 بتمييز الاشخاص . الضوء من الكوة يمر بشناوب كأنوار كاشفة . صوت
 المرأة حاد متعزق ، كندير مأساة .. ظلالمهم تنعكس على الجدار) .

صوت امرأة - أين نحن ؟

صوت رجل ١ - هل فتلوه ؟

صوت رجل ٢ - أظنهم فتلوه .

صوت امرأة - لا تتحدث عن القتل .. فلبني يدق في أذني مشعل

صوت الطبول .

صوت رجل ١ - خلونا نخرج .. هذا المكان خائق (يسعل كأنسه

يخسفق) .

صوت رجل ٢ - كاني مخدر .. رأيت حلما نفيلا . رأيت مهندسا

له وجه فيبح يغفل أخاه .

صوت امرأة - لا تتحدث عن القتل .. فلبني يدق في أذني مشعل

صوت الطبول .

صوت رجل ١ - خلونا نخرج .. هذا المكان خائق ، كأنهم فجروا

فيه غازات سامة .

صوت رجل ٢ - سأخسفق .. (يسعل) رثتي تنائر على كفي ..

أحس برثتي تنائر .. هذا الحيس لا يدخله النور .

صوت امرأة - لا تتحدث عن الاختناق .. فلبني ينفجر وهو يدق ،

هل تسمع صوت الطبول ؟

صوت رجل ١ - خلونا نخرج من هذا المكان .. هذا القبر ، فتلوا

فيه ملايين البشر ولم يغيروا منه الهواء .

صوت رجل ٢ - أي .. يدي غطست في الدم .. حيطان هذا

القبر ترشح بالدم .. هذا القبر حيطانه من دم .

صوت امرأة - لا تتحدث عن الدم .. فلبني يغلي بالدم .. أحس

أموت ، هل تسمع غليان الدم ؟

صوت رجل ١ - أين الدليل ؟ .. هل رأيتم الدليل ؟

صوت رجل ٢ - هرب الدليل .. خاف الدليل . تسلق الدرج

مثل حشرة فذرة وهرب .

صوت رجل ١ - لم يهرب .. لم يهرب ، لم يره احد منا يهرب ،

ربما سبقنا الى اعلى .

صوت امرأة - هذا الجبان .. كيف سبقنا السى اعلى .. كيف

يتركنا ويهرب ؟!

صوت رجل ٢ - لقد هرب .. ألم تر انه احق ، مفنون بشارته

المعدنية !!

صوت رجل ١ - كل ما فعله انه سبقنا الى اعلى .. لا يمكن ان

يتركنا دون مساعدة .

صوت رجل ٢ - ايها الدليل .. ايها الدليل الجبان ، عليك اللعنة.

صوت امرأة - أوه .. لا تلن في الظلام . حرام ان تلن في

الظلام . كل الظلام نجم حولنا وفي فلبني .. فلبني ينبض بدم متخثر

اسود . آه .. أموت .

صوت رجل ١ - كفي عن النواح !

صوت امرأة - آه .. أموت .

صوت رجل ١ - كلنا نموت .. ولكن لا نعولي هذا في وجوهنا .

صوت رجل ٢ - ايها الدليل اللعين .. ايها الدليل الجبان !!

انزلق فوق الدرج مثل حشرة لزجة وهرب .. الجبان .

صوت امرأة - نادوهم .. فولوا لهم انا هنا نموت .. افعلسوا

شيئا .

صوت رجل ١ - قلت لك كفي عن العويل .

صوت امرأة - أموت .. افعلسوا شيئا ، ادعوا اصحاب هذا المكان.

(بصوت عال) يا اصحاب هذا المكان ، انتم يا جالسون فوق ،

في اعلى .

صوت رجل ٢ - لا تبجي صونك .. لن يسمعك احد .

صوت امرأة - اني أموت ..

صوت رجل ٢ - خير لك ان تموتسي وصونك غير مبوح ..

ستحتاجين الى صوتك لتلعني به .

صوت امرأة - ابتهلوا معي اليهم .. دعوهم نغدونا .. اضرعوا

اليهم .

صوت رجل ٢ - لن اضرع الى احد .. لا يوجد احد حتى تضرعي

اليه . من الحمافة ان تضرعي الى لا شيء .

صوت رجل ١ - اهديني .. الان يعود الدليل .

صوت رجل ٢ - لن يعود الدليل .. انه جبان ، والجبان يهرب

ولا يلتفت وراه .

صوت رجل ١ - قلت لك لم يهرب .

صوت رجل ٢ - اذن انتظر .. انتظر الهواء .. انتظر لا شيء .

صوت رجل ١ - قلت لك سيعود .

صوت امرأة - أوه .. انركوا الخصام .. افعلسوا شيئا ، لا يمكن

ان تترك هنا نموت .

(صمت)

صوت رجل ٢ - هل سمعتم حفيقا اسود ؟ انه الموت ، دخل هذا

الحبس ولن يخرج منه وحيدا ، سيرافقه احدنا ..

صوت امرأة - أوه .. خائفة .. انا لا يمكن أموت .

صوت رجل ١ - لن يموت احد .. كلنا سنحيا ..

صوت رجل ٢ لا بد ان نموت واحدا بعد الاخر .. وسنكون انت

أول من يموت .

صوت رجل ١ - ماذا تعني ؟

صوت رجل ٢ - لن اترك تفافلني .. سأفكك بك قبل ان تقتلني .

صوت امرأة - أوه .. لا تتحدث عن القتل .. فسل سنحيا ..

فل سنحيا .

صوت رجل ١ - قلت لك سأحيا ..

صوت رجل ٢ - بل سنكون اول من يموت .. ان اتركك نفعل كما

فعل المهندس ، لن تعيش ولا يوما واحدا على جنسي ..

صوت رجل ١ - آه .. عرفت ما تفكر به . يريد ان تفافلنسي

لتأكل لحمي ، وتشرب دمي !! يا صبح .. يا نجس .. يا أكل الجثث ،

يا نياش القبور !

صوت امرأة - آه .. يتناهشان كالنئاب . افعلسوا شيئا يا اصحاب

هذا المكان . ارسلوا بريقا من النور . لا تتركوا فلوبنا العميساء

في الظلام .. ابتهل اليكم ، اعطونا اشارة واحدة تعيد النور الى فلوب

حاصرها الظلام .

(صوت اختصام .. الرجلان يتفارقان ، والمرأة تنوح)

صوت علوي - انظروا الينا .. انظروا الى اعلى ، فمن هنا يأتي

النور .

الجميسع - نحن ننظر الى اعلى .. أين النور ؟

صوت علوي - انظروا الينا .. ارفعوا رؤوسكم الى اعلى ، فمن

هنا يأتي النور .

الجميسع - نحن ننظر اليك .. أين أنت ايها النور ؟

صوت علوي - من هنا يأتي النور ..

الجميسع - اهدنا ايها النور .. دلنا عليك ايها النور ، اهدنا

الى النجاة ، ايها النور .

صوت علوي - تعالوا الينا .. الى اعلى انظروا .

الجميسع - نحن ننظر اليك .. اهدنا الى الطريق .

صوت علوي - انظروا الى اعلى .. حين تسيرون لا ترفسوا

اقدامكم ، وانظروا الى اعلى .

(ظلالم على الجدار وهم رافعون ايديهم يتهلون .

الصوت يردد : انظروا الى اعلى ، فمن هنا يأتي النور) .